الهجرة باتجاه وسط فلسطين وجنوبها، كان الاسرائيليون المدنيون (والعسكريون أيضاً) في الوسط والجنوب، يستأنفون حياتهم العادية، دون أن تمسهم ظروف الحرب ومخاطرها. وقد أحدث هذا خللاً في العلاقة بين شطري السكان، بين الذين يعانون الحرب وويلاتها، وبين الذين لا علاقة مباشرة لهم بها.

وقد واجهت السلطات الاسرائيلية ارباكاً ملحوظاً بعد المفاجأة بقوة الرد الفلسطيني، وحالة الذعر التي أحدثها، وكثافة الهجرة من الشمال، وعدم كفاية الاستعدادات الأولية لمواجهة مثل هذا الوضع، كقِلَّة الملاجىء وعدم صيانة الموجود منها، وانقطاع الكهرباء والماء، وفداحة الخسائر في الممتلكات، وتقويض الموسم السياحي... الخ(٣).

(ب) لفت القصف المركّز والمتنوع الأنظار الى تطور نوعي في كفاءة المقاتل الفلسطيني وسلاحه. فالمدفعية الكثيفة شكلت بحد ذاتها «مفاجأة استخباراتية لإسرائيل»(٤). وتحاشى الفدائيون الخسائر باللجوء الى اسلوب اطلاق قذائف متفرقة بواسطة مجموعات صغيرة متنقلة نهاراً، وتركيز الاطلاق الكثيف على المستوطنات والمدن الاسرائيلية ليلاً(٥).

وعلى صعيد السلاح، ظهرت في الجانب الفلسطيني، خلال المعركة، صواريخ متعددة الفوهات، ومدافع قطرها ١٣٠ ملم، ومدى نيرانها ٢٧ كلم، ودبابات من طراز تي ٣٤، وتي ٥٤، وتي ٥٥، ومدفعية مضادة للطيران من نوع سام ٧ وسام ٩(٦). وقد استخلص المعلق العسكري الاسرائيلي زئيف شيف، ان الفدائيين نفذوا عملية عسكرية فريدة دون ان يدفعوا ثمناً حقيقياً لذلك، وشكلوا تحدياً للجيش الاسرائيلي، لأول مرة بقواهم الذاتية، وصمدوا في تحديهم مدة تسعة ايام، وخاضوا حرب استنزاف طويلة ضد منطقة الجليل بكاملها، وسجلوا بذلك سابقة لا مثيل لها من قبل، قد تتكرر في اي وقت في المستقبل(٧).

(ج) اجرى العديد من المعلقين والمحللين الاسرائيليين مراجعات واستخلاصات، قد تكون مبكرة، ولكنها تبقى ذات دلالة:

— فقد أكد البعض منهم عدم جدوى استخدام سلاح الجو في مثل هذا النوع من القتال، وعدم فعاليته في ملاحقة مجموعات فدائية صغيرة متنقلة، باسلحة محمولة وفعالة(٨).

— جزم الكثيرون بأن اسرائيل لا تستطيع السماح بحرب استنزاف في الشمال، على غرار حرب الاستنزاف في ١٩٧٠ على الحدود الجنوبية، او على غرار الحرب الفيتنامية(٩). ولا بد، إذا ما تجدد القصف، من احتلال المنطقة باسرها، اي «ابعاد [الفدائيين] الى خط نهرالزهراني تقريباً» والصمود أمام الضغوط السياسية بعد ذلك(١٠).

— ذهب المعلق الاسرائيلي يورام بيري(١١) الى ان حرب الشمال زعزعت مبادىء اساسية في الحروب الاسرائيلية: القلة اليهودية النوعية ضد الكثرة العربية (وفي حرب الشمال كان الفلسطينيون هم القلة النوعية، والاسرائيليون هم الكثرة)؛ اهتزاز الجبهة الداخلية: حرب في الشمال وحياة طبيعية في الجنوب؛ نقل الحرب الى أرض العدو (وفي هذه المعركة انتقلت الحرب الى جبهة اسرائيل الداخلية المدنية)؛ «طهارة السلاح» او عدم ضرب